

الشاعر جونتر أيش

بقلم دكتور ميشال حجاج

مادة له ، تصبح من مدلولاته . وهذه التعبيرات شائعة عند أكثر الشعراء المعاصرين .
واما اثرها غير المباشر فهو في الجو والموضوع ورجعة الشاعر الى زمن الرعب واختباراته الشخصية التي اصبحت بمثابة خزان يرجع اليه في قصيدته . وبفضل الحرب فقد الشعب الألماني عاصمته الاصلية واستعاض عنها بعاصمة مؤقتة ، وفقدان العاصمة له اثره على الشعر بحيث انه جعل من المتعذر التقاء الشعراء بعضهم ببعض الامر الذي جعل في المانيا اليوم أدبين : ادب غربي وادب شرقي ، والفرق بينهما واسع والاتجاه مختلف .
ولد جونتر أيش سنة ١٩٠٧ وعاش في برلين ودرسدن وباريس وقد حصل على عدة جوائز ادبية ، وينتسب الى « جماعة الشعراء ٤٧ » وهي جمعية للشعراء الألمان المحدثين . وهو معروف « بتمثيليات الراديو » (١) التي ألفها وقد اصبح تمثيل الراديو فنا رائجا من فنون الادب .

ولقد استطاع جونتر أيش - وهو صانع ناقد ومجدد في الشعر - ان يلتفت في كتبه التي ألفها بعد سنة ١٩٤٥ « المزارع البعيدة (٢) » و « قطار تحت الارض » الى اختباراته التي بدأها في سنوات ما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٩ .
ظهرت اشعاره الاولى في « منتخبات الشعراء الفنائين الجدد (٣) تحت اسم مستعار « ارش جونتر » . وفي سنة ١٩٣٠ اخرج أيش مجموعته الخاصة « اشعار » (٤) التي ظهرت ثانية في عدد خاص من مجلة « كنتورن » (٥) . وفي هذه المحاولات الاولى يظهر أسلوب أيش واضحا . الصور محددة والنغم حالم ، والكلام عنده ليس مغموطا بل هو مفصل على قدر المعنى . وهذا ما ساعده ، بعد الحرب ، على ان يقول ما هو كائن وما هو ضروري .
ويحمد النقاد لجونتر أيش انه رفع النقاب عن الحوادث الاخيرة التي كان قد لفها حجاب من الضباب .

ففي مجموعته الشعرية الاخير « رسل الامطار » (٦) التي صدرت سنة ١٩٥٥ يبدو لنا أيش وهو يعالج المشاكل الفلسفية الكبرى ، يطرح السؤال الملحاح ويتعرض لعلة الوجود وحرية النفس . وهو ، على الرغم من انه لم يكن

يعد جونتر أيش Gunter Eich (١) في طليعة الشعراء المعاصرين الذين طبعوا الشعر الفئاني بطابع جديد بعد سنة ١٩٤٥ - اي بعد الصدمة القاصمة التي نزلت بالشعب الألماني - وفي طليعة الذين حاولوا ان يقتسوا عن الكلمات بعد الفراغ المثائب . كانت تلك المحاولة ضربا من المحال - بعد ان فقدت الكلمات مدلولاتها واصبحت مضغ في الافواه ، نيئة ، وبعد العديد من الحوادث التي جعلت الكلم هزئا وسخرية - كيف يمكن للمرء ان يبدأ من جديد بنحت الكلمات ويكتب الشعر والنثر والمسرحيات ؟
وبرغم ذلك كان حظ الادب الألماني المعاصر كبيرا لانه بات على الادياء والشعراء ان يبدأوا من جديد . ان الحياة المزورة بدت وكأنها قد تحطمت مع الحرب الطاحنة وبات بوسع الاديب والشاعر الألماني ان يعيدا النظر من جديد في القيم . يومها تعلم الشاعر ان يقدر الاخلاص ولم يبق لديه ما يخفيه خوفا من الاستبداد . الالقاب ، والنياشين والمال فقدت قيمتها . ولم يبق للشعب من حضارته ومدنيته سوى الدمار بعد ان انهارت كل قواه .
وكان من البديهي ان يرتد الشاعر الألماني على الحرب يكرهها ، وان يكن ليس من السهل ان ينساها - والمرء لا ينسى وانما يعتاد .

وان التجربة التي خلقتها له احوال تلك الحرب الضروس تجربة واسعة . والى اليوم لا يزال بعض صرعى تلك الحرب ومجانينها على قيد الحياة . فالجندي الذي كان عليه ان يترقب الموت كل لحظة ويترقب فوق ذلك ما تجلبه اللحظة هذه من اخطار وويلات او انفراجات اهل لا يمتد الا الى حين ، ينطح على الارض ينشق رائحة الحرائق ممزوجة برائحة الزهور ، يضحك او يبكي من الخسوف والجنون ، ذلك الجندي لا تزال صورته حية ماثلة في ضمير الشاعر .

هذا ما كان حتى سنة ١٩٤٥ . ومنذ ذلك الوقت بات على الشعر الألماني ان يعوض عما فقدته اثناء الحرب من افعال الكوة التي كان يطل منها على الشعر العالمي . لم يعد شعرا في قفص . فقد فتحت النافذة وأطل الشعر الألماني الحديث على الشعر الاوربي والاهيركي وتأثر بمدارسه المختلفة وكانت الانطلاقة والتلفح بالشعر الحديث .

ولا شك ان الحرب تركت اثرها في الشعر الألماني الحديث والادب عامة . واثرها هذا ينقسم الى اثر مباشر واثر غير مباشر . اما اثرها المباشر فهو فيما تركته من كلمات وتعبيرات « حربية » تأخذ طريقها الى الشعر وتصبح

(١) قام الشاعر بزيارة لبنان وبعض الدول العربية في نهاية العام الماضي .

Hoerspiele

Untergrundbahn

Anthologie Juenger Lyrik

Gedichte

Konturen

Botschaften des Regens

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

الناس . وهذا يجعله يبحث عن صور جديدة وصلات جديدة بين الكلمات .

في ديوانه « المزارع البعيدة » نجد الدجاج والبطن يجعل من أرض الدار قادورة خضراء حيث ينبعث من الأرض « دخان كمثل قصيدة نارية » . يسبح في « ضوء الفراشات » بيت من الشعر وهل لا يزال يحيا الإسكندر وقيصر « أكبر الأسماء في التاريخ » في مروج وحقول الشمنندر . وفوق أرض المعتقل ، حيث القش يتحول إلى غبار ، تغني القبرة كما لو ان الأرض الصلبة قد تحولت إلى حفل من الفمخ :

« لا تغني لنا أغاني للنوم مزورة .

« كوني لنا رسولا وغني المستقبل البارد

« المتهلل .

الاختبار الناتج عن العشب المداس يحقق اللحظة التي تعيش في القبرة وضوء الفراشات . وهذه اللحظة المتحركة التي دخل فيها أسماء من أعالي الماضي تجد وجودها في توتر اللحظة (العشب المداس الذي أصبح غبارا) .

صور أيش لها قفزة الفارس بين الأضداد التي يتحدث عنها أوركا وإلى جانب صورة العشب المداس المشحونة بالتغير والفناء نجد اللحظة الشعرية المتحررة . وبينما لم يستطع أي كاتب ألماني بعد سنة ١٩٤٥ ان يجمع بين مشاكل اليوم البائسة والشعر الحساس فان جوتنر أيش استطاع ان يردم الهوة بين الادب الحديث والحياة اليومية .

والدليل الاخير على حوار أيش مع نفسه حول الاسئلة المتعلقة بالحياة اليومية ، الذي يثيرنا ، هو خطابه الذي القاه حين تسلم جائزة « بوشنر » الادبية : هذه الاسئلة الملحة لها اساسها في معرفة الكلمة المهوسمة . لقد قال جوتنر أيش للمرة الاولى أشياء كثيرة مما يستطيع ان يحصل عليه كل واحد منا فقط في حالة نصف لا شعورية : كثيرا ما قالها بنوع خاص من النكتة والبشاشة .

اشعار جوتنر أيش وثائق للادب الناقد السائل الملح لما بعد سنة ١٩٤٥ وفي ألمانيا يبقى جوتنر أيش واحدا من أصدق ممثلي هذا الادب .

ميشال جحا

نازيا ، لا يشمت بهزيمة النازية بل يهزأ منها . والشعير عنده اكتشاف للمجهول في مظارح بكر حيث يضع لنا معالم الطريق وحجارة المسافات بواسطة القصيدة والحوار ، وهو يسعى ليقنعنا بأن قوى العالم الأشد مقاومة تبدو سهلة وناعمة - انه حتى دكتاتورية النازية يمكن جرحها - « ان القرارات الفاصلة تحدث في طيران الحمام » .

استعمل أيش طرقا مختلفة لكي ينقل هذه الحركات واللحظات . استطاع شعره ان يتناول لغة السرياليين والتأثيرين الأوائل ويضيف عليها من عنده كلمات جديدة . وفي قصيدته « كشف حساب » ، التي نثبترجمتها هنا ، والتي كتبها سنة ١٩٤٥ والتي تصور الاسر يستعمل لغة مجردة يظهر ذلك في تعداد امثلة الاسير وأشياءه ، وهو لا يقيد نفسه بهذا التعداد بل ينقل القارئ إلى جو الاسر والمعتقل بواسطة تحديد الحالة ، دون ان يتناول موضوع الاسر ويفكر فيه . والقارئ لا ينقل فقط إلى الجو بل يأخذ موقف المقرر . وهذا الموضوع المرعب يأخذ طريقة ويظهر نفسه بعبارات قصيرة موجزة خالية من الزخرف والتنميق . وليس لهذا الشعر الغنائي عند أيش مواضيع خاصة - كما جرت العادة - مثل الحب ووصف الطبيعة وما اليه وانما يتناول كل المواضيع ، وحتى القبيحة منها ، ويعالجها ويظهر ذلك في عدد من قصائده امثال « إلى قبرة » و « مبوله » .

وجوتنر أيش ضد استعمال الكلم المألوف ، فهو يجعل من لغته لغة دقيقة المدلول محددة . وعلى الرغم من ان لغته موجزة فهو قادر دائما على اظهار الفروق الدقيقة ، وهو ينظر نظرة شاملة إلى عمله الفني ، لا ينظر إلى تفاصيل اللوحة بل إلى مقدمتها ومؤخرتها كوحدة كاملة ، والمقدمة والمؤخرة متداخلتان عنده متحركتان . ففي « نوم شجرة الفخولدر » يفكر في العدم وفناء الأشياء ويبحث لها عن علة وسبب . وفي شعره حديث عن وحشة الإنسان التي يبحث لها أيضا عن معنى وطعم . فهو يسأل في شعره مثلا « هل الملك مثل المي » ؟ .

الصور تتلازم وتتماسك في كل شعره ، صور الفناء والحركة والتحول . وهي لا تظهر أيش كمؤلف ساكن هادئ ولكن كمؤلف مندر تائر يريد ان يززع اعتقادات

كشف حساب (١)

*

هذه طاقتي
هذا هو معطفي ،
هذه آلة الخلافة
في كيس من كتان
علبة محفوظات :
صحني وطاسي ،
لقد حفرت اسمي

(١) « من المزارع البعيدة »

ولوح الكرتون يتوسط
بينني وبين الأرض

رصاصه القلم
أحبها أكثر من كل شيء :
في النهار تكتب لي الأشعار ،
التي أكون قد نظمتها في الليل .
هذا دفتر ملاحظاتي ،
وهذا قماش خيمتي ،
هذه منشفتي ،
وهذا خيطي .

جوتنر أيش

على الصفيح الأبيض .
محفور هنا بهذا
الدبوس الثمين ،
الذي أحميته
من العيون الحاسدة

في جراب الخبز
زوج من الجوارب الصوف
وأشياء ، لا
أبوح بها لاحد ،
يقوم مقام وسادة
في الليل لرأسي .